الخطر الاصفر

لا تذكر هذه الكلمة «الخطر الاصفر» التي يراد بها نهوض اهالي الصين واليابان ومزاحمتهم للشعوب البيضاء الاَّ ارتعدت لها فرائص الفريق الاكبر من الاوربيين والاميركيين رغماً عمَّا يرونهُ من ازدياد قوتهم الحربية وتفوقهم في العلوم والفنون على كل امم الارض ورغماً عمَّا يثبتهُ بعض كتَّابهم من الادلَّة على ان الخطر الاصفر وَهْمٌ لا حقيقة لهُ . فقد نشرنا في مقتطف يونيو الماضي مقالة للورد كرومر لخَّص بها كتاباً وضعهُ احد كتَّاب الانكليز الباحثين في امور الصين وبيَّن فيهِ ان ما يروى عن انتظام الامور في تلك البلاد بعيد عن الصحة وان الرشوة والصنيعة متأصلتان فيها وانهُ اذا أُحسنت ادارتها وانتشرت سكك الحديد فيها رأى الصينيون في بلادهم مشغلاً لهم فلا يضطرون ان يهاجروا الى غيرها ولا يبقى سبيل للخوف من مزاحمتهم لغيرهم لان الولايات القليلة السكان من الصين اوسع من الولايات المزدحمة بسكانها الى غير ذلك ممَّا تراهُ في مقالة لورد كرومر المشار اليها

لكن كثيرين من المخبرين بامور الصين يذهبون الى ضد ذلك ويقولون ان الصينيين ناهضون الآن نهضة حقة وان اليابانيين آخذون بيدهم رغماً عمَّا بين الامتين من المنافسة وحتى رأوهم قد صاروا بحيث يصحُّ الاعتماد عليهم حالفوهم وتقفوا عهدهم مع الانكليز ووقفت الامتان معاً في وجه الدول الاوربية والجمهوريات الاميركية . وقد رأينا ان نثبت هنا ادلة هذا الفريق كما اثبتنا ادلة الفريق الاول

بلاد الصين في بقعة من اطيب بقاع الارض ممتدة من المنطقة الحارَّة الى الباردة لكن اكثرها في المنطقة المعتدلة لا تنطرَّف الى الشديدة الحر ولا الى الشديدة البرد فانها بين الدرجة العشرين والدرجة الخمسين من العرض الشمالي واذا اضفنا اليها كوريا واليابان وسيام بلغ اتساعها من الدرجة العاشرة من العرض الشمالي الى الدرجة الخمسين . وفي الصين وحدها اكثر من ٤٠٠ مليون من النفوس والشعب الاصفر كلهُ اكثر من خمس مئة مليون فهو اكثر من الشعوب البيضاء عدداً

ولا شبهة في ان الصين إستيقظت الآن من سبات العصور الغابرة ولا استيقاظها اسباب اولها قهر دول اوربا لها في حروبهم معها . فان انغلابها نبَّهها من رقادها وجعلها تكره الاوربيين وتحقد عليهم وتلا ذلك ابتزاز الامتيازات منها بالقوة وتهديدها بالتقسيم ثم فوز اليابان على الروس وهو اول فوز للشعوب الصفراء على الشعوب البيضاء وقد كان لهُ دوي عظيم لدى

الشعوب الصفراء كلها ولدى الشعوب السمراء سكان الهند ايضاً. فكأن اوربا عمَّت الصينيين ان الحق للقوة وان القوي ينال ما يشاء من الضعيف فصرفوا همهم الى اصلاح حربيتهم وبحريتهم واتوا بالضباط الالمانيين لتدريب جنودهم وابدلوا مدافعهم القديمة بمدافع جديدة من طراز كروب وانشأوا محطات التلغراف اللاسلكي والتلغراف العادي وجعلوا يتعلمون ركوب الهواء وانشأوا ثلاثة معامل كبيرة لسبك المدافع وعمل البنادق وسائر الاسلحة وانشأوا محلاً للبحرية وشرعوا في انشاء السفن الحربية

واذا جروا في تجنيد رجالهم على قاعدة الالمان بلغ جيشهم ثلاثين مليوناً اي اكثر من الجيوش الاوربية كلها. وقد شهد القواد الكبار مثل غوردن وميكي هربوت انهُ ما من جندي في الدنيا يفوق الجندي الصيني في بسالته. وشهد آخرون ان مجارتهم من الطبقة الاولى بين مجارة الامم. والجندي الصيني يكتفي بما لا يكتفي به الجندي الاوربي من المأكل والمشرب. وقد اخذ الحماس من الجنود الصينية كل مأخذ في هذه الايام كما يظهر من نشيدهم الذي ينشدونهُ وهذا تعريبهُ

كم يهزأ القوم بنا وقصدهم تسخيرنا
كأننا بطيخة لا هزوة لا وطنا

من الملايين اذا ما أُحصيت جموعنا
اربع مئة فهل من امة تروعنا

الاتحاد قوةٌ يحيي النفوس الهامده
بخير الشعوب شتّى كالظراف الشارده

وليتنا الهند تراها بقيود راسفه
وجزُرُ اليابان من حوض المعالي راشفه

ولم يكتفوا بتعليم الجنود وانشاء المعامل لعمل الاسلحة بل تراهم يرسلون البعثة بعد البعثة الى اوربا واميركا واليابان من الفتيان والفتيات للتعلُّم والتفقه. وقد بلغ عدد الفتيان الصينيين الذين كانوا يطلبون العلم في بلاد اليابان سنة ١٩٠٧ ثمانية آلاف وعدد الفتيات مئتين وهنَّ من صميم الاسر الصينية الشريفة

ولم يكد الصينيون يقلبون الحكومة الملكية وينادون بالجمهورية حتى انشأوا كثيراً من

الجرائد اليومية واقتبسوا نظام اتحاد الصناع واخذوا يطلبون القرار وتصغير اقدام النساء وقطعوا الذوائب التي كانت دليلاً على خضوعهم للمشو وانتظم نساؤهم في سلك الجندية ولبسن لبس الرجال وطلبن ان يساوين بالرجال في حقوق الانتخاب واخترعوا خمسين حرفاً ليكتبوا بها لغتهم بدل مسمّر الصين . واقروا على جعل اللغة الانكليزية لغة تعليم العلوم والفنون في كل البلاد وجعلوا تعلّمها الزامياً لكل طالب علم او صناعة حتى لا يفوتهم الوقت بترجمة الكتب الاوربية الى لغتهم وطبعها فيها

ولا شبهة بوجود الرجال في الصين فلا ينقصها الاّ الآلات والادوات . وعندها لما معادن غنية جدًّا فتألفت فيها شركات كبيرة لاستخراج معادنها وقد قال بيث من اشهر بيوت الهندسة الانكليزية انهُ ما من بلاد اغنى من الصين بالفحم الحجري . وترى الآن معامل الحديد والقطن والحرير والزجاج والبارود وما اشبه تنشأ في كل مكان على ضفاف الانهر وسترى اوربا منها مناظرة صناعية وتجارية عنيفة جدًّا . وقد ظهرت نتيجة هذه النهضة في زيادة صادرات البلاد وواردتها فانها زادت نحو سبعة اضعاف منذ سنة ١٨٦٧ الى الآن

وقد رأت جمهورية الصين انها لا تستطيع ان تصلح بلادها ما لم تربطها بسكك الحديد والتلغراف والتلفون فقررت ان تنشئ في العشر السنوات التالية سبعين الف ميل من سكك الحديد تتصل بالخط الرئيسي الذي مدتهُ من بكين الى كنتون . وتتصير عواصم ولاياتها مراكز لسكك الحديد و يتفرع منها خطوط اخرى حتى تتصل كل عاصمة بثانية خطوط او تسعة ويتيسر لها نقل بضائعها وجنودها على اسهل سبيل . وكانت قد اعطت نصف الخط من هنكو الى كنتون لشركة اميركية فاستردتهُ منها واعطتهُ لشركة صينية . اما التلغراف العادي فربط كل الولايات بعضها ببعض وكذلك التلغراف اللاسلكي

وترى الصينيين يدأبون الآن على تنظيم جنودهم وتعليم اولادهم وتوسيع معاملهم ومتاجرهم يعملون بلا ملل نهاراً وليلاً . ومتى تمّ لهم ما ينوونهُ طردوا البيض من بلادهم لا بالقوة الفعلية بل بالمناظرة الصناعية والمزاحمة التجارية تبقى ابواب البلاد مفتوحة للاجانب كما هي اليوم ولكن الاجانب لا يجدون فيها رزقاً يتالونهُ فيضطرون الى تركها لاهلها . ولا بدّ من ان يطلب الصينيون ان يباح لهم الدخول الى اوربا واميركا واستراليا كما يباح لغيرهم لانهم جعلوا شعارهم من الآن المساواة

ومن المحتمل ان تضطرهم الدول الاوربية الى الحرب قبلما يتم تنظيم جيشهم فان الولايات المتحدة الاميركية تفاضيهم في امر المقيمين منهم في بلادها والفرنسويين يفاضونهم

في امر الرسالات الدينية الكاثوليكية والانكليزية في امر بلاد تبت والروس في امر منغوليا . والذين يعرفون اخلاق الصينيين يقولون انهم سيتذرعون بالصبر ولا يستفزهم امر الى محاربة دولة اوربية قبلما تتم معداتهم الحربية

فالخطر الاصفر لا يقوم بان تجيش الصين جيوشها لغزو اوربا بل بارسالها الالوف والملايين من شعبها الى سائر البلدان ليزاحموا اهلها في اعمالهم . فان الصيني يقتات في يومه بفرش واحد ويعمل مثل ابرع عامل . ولذلك منعت بعض البلدان دخول العمال الصينيين بلادها خوفاً من مناظرتهم اهلها ولكن متى صار وراء هؤلاء العمال ثلاثون مليون رجل شاكي السلاح لم يبق سبيل لهذا المنع لاسيما وان اليابان ترى ان مستقبلها قائم بمحالفة الصين وعندها الآن ثمانمئة الف من الجنود المدربين وخمسون الفاً من البحارة الذين حاضوا المعارك ولا يبعد ان تبني هي والصين اسطولاً من اقوى الاساطيل البحرية وتمتلكا استراليا وجزائر فيلبين

فهل تُترك الجمهورية الصينية حتى تقوى ويشتد ساعدها او يحسن لها اهل المطامع من الاوربيين والاميركيين سلوك سبل الاسراف ويدسون لها الدسائس حتى تقع الشحناء بين رجالها ويقتال بعضهم بعضاً كما فعل العثمانيون . وهل آداب الصينيين كافية لان تقيهم من الوقوع في اشراك الهوى وتعصمهم من مواقع الزلل او تخرس وساوس الفساد عظامهم وسوف تعبث بهم عواصف الدهر وتمزقهم شماطيط ذلك ستبينهُ الايام بعد عهد غير بعيد

هذا وقد نشرنا مع هذه المقالة بعض الصور الفوتوغرافية الاصل لتظهر منها بعض احوال الصين الحاضرة ففي اسفل الصورة الاولى رسم يوان شه كاي رئيس جمهورية الصين مع كاتم اسراره ورسمهُ وحدهُ . وهو شيخ مسن وقائد محنك قبض على الجمهورية بيدين من الحديد لكي يمنع الثورات الداخلية . وفي اعلاها من الجهة اليمنى صورة نسيان شيه باو الوزير الصيني المقيم في لاما عاصمة تبت ومن الجهة اليسرى صورة تانغ شاو يي رئيس وزراء الصين وبينهما صورة الدكتور نان جن تون وزير الحقانية

وفي اعلا الصورة الثانية رسم الدوق نرمو اره من وجوه منغوليا والوالي شن من ولاتها وقد اوفدهما الاهالي الى عاصمة الصين لكي تحميهم الجمهورية من الروس . وتحتها صورة ضابط من ضباط الجيش الجديد وصورة رجل من الفرسان . وترى في صورة رئيس النظار وصورة الضابط والوالي والدوق المنغولي ان الصينيين اقتبسوا الملابس الاوربية تماماً ورئيس الجمهورية الذي تراهُ هنا بالباس الصيني القديم انما يلبسهُ متفضلاً اذا اراد الراحة في مكتبهِ واما في الديوان والمقابلات الرسمية فيلبس لبس قواد الجيش مثل القواد الاوربيين

رئيس الجمهورية وبعض نظاره

المقتطف غسطس سنة ١٩١٣ صفحة ١٤٦

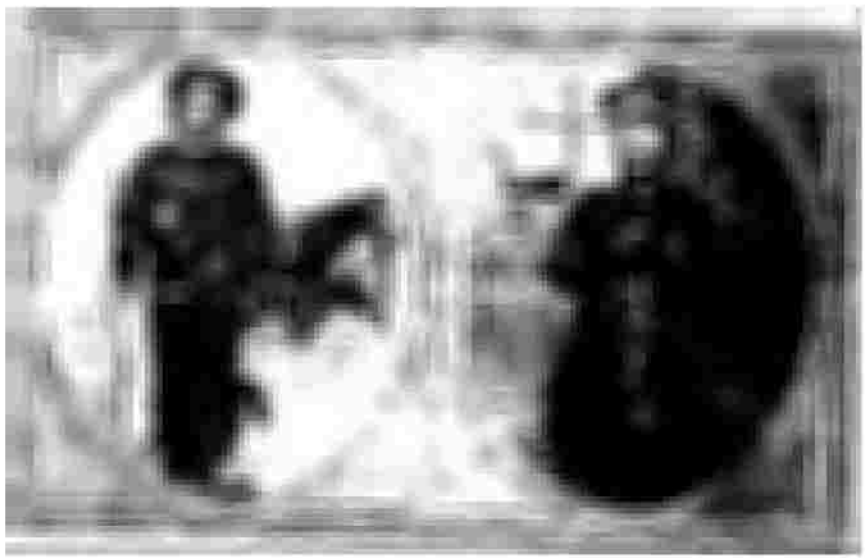

منتصف القرن السادس عشر ٩٠٣ هـ/ ١٤٦٠